

الثمام وشجرة مريم

في يوم ١٨ أغسطس وبعد اثني عشر يوماً على انفجار القنبلة ، سار الأب كلاينسورج على قدميه من دار الرهبان المبتدئين وفي يده حقيقته المصنوعة من الورق المضغوط قاصداً هيروشيما . وقد أخذ يفكر أن لهذه الحقيبة التي يحتفظ فيها بالأشياء ذات القيمة لديه ، قوة سحرية بسبب الحالة التي وجدها فيها بعد الانفجار ؛ إذ كانت قائمة ومقبضها من أعلى على باب غرفته على حين كان المكتب الذي يجبا هذه الحقيبة تحته قد انتثر قطعاً على الأرض . وهو الآن يستعملها ليحمل عملة الين التي تمتلكها جمعية اليسوعيين ، إلى فرع هيروشيما لبنك العملة في يوكوهاما ، وقد أعيد فتحه في داره التي تخربت قليلاً ، وكان يشعر في ذلك الصباح بوجه عام أنه متالك لقواه . أجل ! إن الجروح الصغيرة التي أصيب بها لم تلتئم في ثلاثة أيام أو أربعة كما قال رئيس الدار الذي فحصها وتوقع ذلك ، ولكن الأب كلاينسورج تمكن من الراحة أسبوعاً ، وظن أنه صار يستطيع أن يستأنف العمل الشاق . وكان قد اعتاد النظر القطيع الذي يمر عليه في طريقه إلى المدينة ، وقد صارت حقول الأرز الشاسعة على مقربة من دار الرهبان المبتدئين مخططة بالسواد ، والدور في أطراف المدينة قائمة ولكنها مصابة بنوافذها المكسورة وحواجز سقفها المتساقطة . ثم يتبدى فجأة أوائل الأميال الأربعة المربعة من الجرح الأدكن الدامي حيث انهار كل شيء تقريباً واحترق ، وسقطت عمارات المدينة صفاً بعد صف . وهنا وهناك ترى علامات نصبت فوق الرماد والآجر (كتب عليها : « أين أنت

يا أختاه؟ » ، أو « لقد نجونا جميعاً ونحن نعيش في تويوساكا ») وهناك
الأشجار العارية ، وعمد التليفون المنقضة ، والمباني القليلة المتخربة التي ظلت قائمة
ولكنها تزيد في بيان كل ما انبسط من الأشياء الأخرى وضوحاً (ومنها متحف
العلوم والصناعة ، وقد تطايرت قبته إلى إطارها من الصلب كأنه جثة فتحت
للتشريح ، والبناء الحديث للغرفة التجارية ببرجه القائم جامداً بارداً لا ينال
قبل الإصابة كما هو بعدها . ومنها كذلك دار بلدية المدينة ، وهي دار ضخمة
قليلة الارتفاع كانت أخفيت معالمها . ومنها صف من المصارف العتيقة صارت
سخرية بعد أن تدهور النظام الاقتصادي .) وترى بالشوارع آثار حركة نقل
مؤلة ، في مئات من الدراجات المحترقة وأجسام السيارات وعربات النقل
وقد وقفت في نصف حركتها . وكان الأب كلاينسورج طوال الطريق يؤله
أن يفكر في أن هذا الضرر الذي رآه كله حدث في لحظة واحدة بقبلة واحدة .
وعندما وصل إلى قلب المدينة كان الحر قد اشتد ، فمشى إلى بنك بوكوهاما
الذي كان يؤدي العمل في حانوت خشبي مؤقت أقيم في الدور الأرضي من
بنائه وأودع القس المال . ثم ذهب إلى دار البعثة لكي يلقى نظرة على حطامها
مرة أخرى . ثم سار في طريقه عائداً إلى دار الرهبان المتدينين . وفي نحو
منتصف الطريق بدأ يحالجه إحساس خاص ؛ فهذه الحقبة السحرية إلى حد ما ،
مع أنها خالية الآن ، أخذت تبدو ثقيلة جداً ؛ وتحاذلت ركبته ، وشعر بتعب
شديد ، واستطاع أن يصل إلى دار الرهبان المتدينين بعد جهد كبير .
ولم ير أن هذا الضعف يستأهل أن يذكره لزملائه اليسوعيين . ولكن بعد
يومين وهو يحاول أن يقوم بالصلاة أصابه دوار ، وحاول ثلاث مرات
أن يتابع الصلاة ولكنه لم يستطع الاستمرار . وفي اليوم التالي عند ما فحص
رئيس الدار جروح الأب كلاينسورج التي كانت في لظاها غير هامة ولكنها
لم تلتئم ، سأل في استغراب : « ماذا فعلت بجروحك ؟ » فلقد زادت الجروح
اتساعاً فجأة وتورمت والتهبت .

كانت السيدة نكامورا ترتدى ثيابها في صبيحة يوم ٢ أغسطس في دار
أخت زوجها في كابي التي لا تبعد كثيراً عن نجاتسوكا . ولم تكن السيدة
أصيبت بأية جراح أو حروق وإن ظلت تشعر بغثيان هي وأطفالها في أثناء

الأسبوع الذى قضوه ضيوفاً على الأب كلاينسورج وغيره من الكاثوليك فى دار الرهبان المتدينين . وأخذت تمشط شعرها ، فاذا بها تلحظ فى أول مرة أن المشط قد حمل معه ما يملأ اليد من الشعر . وفى المرة الثانية حدث مثل هذا ، فوقفت التمشيط فى الحال . ولكن فى الأيام الثلاثة أو الأربعة التالية ظل شعرها يتساقط من تلقاء نفسه حتى صارت صلعاء تماماً ، فلازمت البيت حتى لتكاد تختبئ فيه . وفى يوم ٢٦ أغسطس استيقظت هى وابنتها الصغيرة ميسكو وهما يشعران بضعف وتعب شديد ، واستمرتا ملازمين لفراشهما . أما ابنتها والبنات الأخرى ، وهما اللذان شاطراهما كل ما مز بهما من كوارث أثناء إلقاء القنبلة وبعدها ، فقد كانا فى صحة تامة .

فى نحو ذلك الوقت — ولم يعد يذكر الأيام ، لأنه كان يعمل جاهداً لاقامة مكان مؤقت للعبادة فى دار خاصة ، أجراها فى أطراف المدينة — مرض مستر تانيموتو فجأة بتعب عام ودوار وحمى ، وقد لزم هو فراشه أيضاً على أرض دار صديقه التى تحطمت قليلاً فى ضاحية أوشيدا .

هؤلاء الأربعة لم يكونوا يعلمون سبب مرضهم ، ولكنهم كانوا مرضى بالمرض العجيب المتقلب الذى عرف فيما بعد بمرض الاشعاع .

ظلمت الآنسة سازاكى راقدة فى ألم مستمر ، بمدرسة إلهة الرحمة الابتدائية بجهة هاتسوكايشى ، وهى المحطة الرابعة لخط القطار الكهربائى إلى الجنوب الغربى من هيروشيما . وكان التعفن الداخلى لا يزال يحول دون رد الكسر المركب فى العظام السفلى برجلها اليسرى . وكان هنالك شاب فى المستشفى نفسه يظهر أنه أخذ يتعلق بها بالرغم من انشغالها الذى لا ينقطع بالأمها ، أو لعله أخذته الشفقة بسبب هذه الآلام ، فأعارها ترجمة يابانية لقصص موباسان . وقد حاولت أن تقرأ هذه القصص ولكنها لم تستطع أن تركز عقلها فى القراءة أكثر من أربع دقائق أو خمس دقائق فى المرة .

كانت المستشفيات ومحطات الاسعاف فيما حول هيروشيما مكتظة بالناس فى الأسابيع الأولى بعد الانفجار . وكان رجالها يبدلون بسبب حالتهم الصحية ، ووصول المساعدة غير المنتظرة من الخارج ، فكان لابد من نقل المرضى من مكان إلى مكان . لذلك نقلت الآنسة سازاكى فى أواخر أغسطس إلى مدرسة

هندسية في هاتسوكايشي مع أنها قتلت من قبل ثلاث مرات ، منها مرتان بالسفينة وكانت حالة رجلها لا تتحسن بل تزيد ورماً ، فقرر أطباء المدرسة أن يشدوا مؤقتاً قطعاً من الخشب حولها ، ويحملوها بالسيارة في ٩ سبتمبر إلى مستشفى الصليب الأحمر في هيروشيما . وكانت هذه هي الفرصة الأولى التي رأت فيها خرائب المدينة ؛ لأن المرة الأخيرة التي حلت فيها في شوارع المدينة ، كانت على حافة الانغماء . وقد وصف لها الخراب من قبل ولكنها كانت لا تزال تشعر بالألم ، غير أن المنظر روعها ودهشت له دهشاً كبيراً ، ولاحظت فيه ما جعل جسدها يقشعر ؛ فوق كل شيء — بين حطام المدينة ، وفي السقوف المتناثرة ، وعلى شواطئ النهر ، وبين الآجر ، وصفائح السقوف ، وعلى جذور الأشجار المحترقة — كان هنالك بساط أخضر حي جديد يحفز إلى التفاؤل . وقامت هذه الخضرة حتى من أسس الدور المتخرية . وقد بدأ الرماد يختفي تحت الأعشاب ، وازدهرت الأزهار البرية بين عظام المدينة ؛ فان القنبلة لم تترك أصول النباتات سليمة تحت الأرض وحسب بل لقد بعثت فيها أيضاً نشاطاً . ففي كل مكان ترى السوسن الأزرق والأزهار الإسبانية وبقلة اللبن ، وعباد شمس الصباح وزئبق النهار والفلو ذا الثمر المجلل بالشعر والرجلة والشبيط والسمسم وشجر مريم . وفي دائرة في وسط المدينة بنوع خاص نما نبات السناء في ازدهار عجيب ، لا على بقايا النبات نفسه الذي احترق ، بل في أماكن جديدة بين الأحجار وفي تشققات الأسفلت ، كما قد أقيمت مع القنبلة أحمال من بذوره .

وضعت الأنسة سازاكي في مستشفى الصليب الأحمر تحت عناية الدكتور سازاكي . ولقد عاد شيء من النظام إلى المستشفى بعد مرور شهر على الانفجار ، ومعنى ذلك أن المرضى الذين كانوا راقدين في ممشى المستشفى كانوا يجدون حصراً ليناموا عليها ، وأن الأدوية التي نفدت في الأيام القلائل الأولى ، قد جاء بدلها ، وإن لم يكن بكمية كافية ، تبرعات من المدن الأخرى . وكان دكتور سازاكي ، الذي نام ذات مرة سبع عشرة ساعة في داره في الليلة الثالثة ، لا يستريح بعد ذلك إلا ست ساعات في الليل نائماً على حصير في المستشفى . وقد انخفض وزنه الضئيل جداً عشرين رطلاً أخرى ، وكان لا يزال يضع النظارة التي لا تلائم على عينيه ، وهي التي أخذها من ممرضة مصابة .

إذ كانت الأنسة ساراكي امرأة ، وكان مرضها شديداً (ولعل ذلك — كما اعترف فيما بعد — لمجرد أن اسمها ساراكي) فقد وضعها الطبيب على حصير في غرفة تكاد تكون خاصة ، إذ لم يكن بها في ذلك الوقت غير ثمانية من المرضى . ولقد سأله ، وكتب على بطاقة السجل في لغة ألمانية صحيحة ، وهي التي كان يكتب بها جميع تسجيلاته : « مريضة متوسطة الحجم في صحة جيدة على العموم ، بها كسر مركب في القناة اليسرى في الجزء الأسفل من رجلها مع تورم ، وفي جلدها والجزء الظاهر من عضوها الخاطي نقط صغيرة حمراء ، هي أنزفة في حجم حبوب الأرز وأحياناً في حجم الفول ؛ يضاف إلى ذلك أن رأسها وعينيها ورتتيها وقلبيها في حال عادية في الظاهر ؛ إلا أن بها حمى . » ، وقد أراد أن يجر الكسر ثم يضع رجلها في قالب ، ولكنه كان يعوزه الجبس منذ وقت طويل . لذلك أرقدها على الحصير ووصف لها الأسيرين اللحمي ، وأن تحقن بحقن جلو كوز وأن تتعاطى بفيها بياستاس علاجاً لقلّة الغذاء لديها (وهو لم يذكر هذه الحالة المرضية في سجلها لأن المرضى جميعاً كانوا مصابين بها) . وكانت فيها علامة واحدة فقط من العلام العجيبة التي أخذت وقتئذ تبدو على مرضاه — وهذه العلامة هي نقط الدم .

كان الدكتور فوجي لا يزال يلاحقه سوء الحظ مع الأنهار . فقد كان الآن ساكناً في المنزل الصيفي لمستر أو كوما في مدينة فوكاوا . وكان هذا المنزل قائماً على حافة الشواطئ العميقة لنهر أوتا ، وهناك أخذت إصاباته تتحسن وبدأ يعالج اللاجئين الذين جاءوا إليه من الجهات الغربية مستعملاً المواد الطبية التي كان أودعها مخبأً بالضواحي . ولاحظ في بعض المرضى مجموعة من الأعراض العجيبة ظهرت فجأة في الأسبوع الثالث والرابع ، ولكنه لم يكن يستطيع أكثر من غسل الجراح والحروق . وفي أوائل سبتمبر بدأ المطر ينهمر واستمر غزيراً ، فارتفع النهر . وفي يوم ١٧ سبتمبر أرعدت السحب ثم هب إعصار ، وأخذت المياه تعلو وتعلو إلى جانب الشاطئ ، فذعر مستر أو كوما ودكتور فوجي والتجأ إلى دار فلاح فوق الجبل (وقد أتى الفيضان في هيروشيما على ما تركته القنبلة — فجرف الجسور التي سلمت من ضغط القنبلة ، واكتسح الشوارع ، وزعزع أسس الأبنية التي ظلت قائمة . . . وعلى عشرة أميال من الغرب ، حيث كان مستشفى أونو العسكري وفيه جماعة من الخبراء من

جامعة طوكيو الامبراطورية يدرسون الاصابات التي حلت أخيراً بالمرضى ،
تدحرج المستشفى فجأة فوق جانب من الجبل جميل ومجمل بأشجار الصنوبر ،
وسقط إلى البحر الداخلى ؛ وغرق أكثر الباحثين ومرضاهم ذوى الأمراض
الغريبة .) وبعد العاصفة نزل دكتور فوجي ومستر أوكونا إلى جانب النهر ،
فألفيا منزل أوكونا قد جرفه التيار .

لما كان عدد كبير من الناس قد شعر بالمرض فجأة بعد نحو شهر من إلقاء
القنبلة الذرية أخذت تنتشر شائعة كريهة وصلت في آخر الأمر إلى الدار التي
تقيم فيها السيدة نكامورا مريضة صلعاء الرأس ، وهى أن القنبلة الذرية تركت
في هيروشيا نوعاً من السم تنبعث منه ذرات مميتة لمدى سبع سنوات ، ولا يمكن
أحداً أن يذهب إلى تلك المدينة طول الوقت ، وقد تضايقت السيدة نكامورا
لهذا النبأ بنوع خاص ؛ فهى تذكر أنها فى ساعة الحيرة التى استولت عليها
فى صباح الانفجار أغرقت وسيلتها الوحيدة للعيش ، وهى آلة الحياكة من صنع
سانكوكونى حوض الماء الصغير المصنوع من الأسمنت أمام ما بقى من دارها .
والآن لا يستطيع أحد أن يذهب ليحاول إخراجها . وكانت السيدة نكامورا
وأقاربها إلى تلك اللحظة مستسلمين ، ومقتنعين بما يسوغ إلقاء القنبلة الذرية ،
من الوجهة الأخلاقية . ولكن هذه الشائعة أذكت فيهم فجأة من الكراهية
والبغضاء نحو أمريكا ، أكثر مما شعروا به فى أثناء الحرب .

وكان علماء الطبيعة من اليابانيين (وهم على علم كثير بتحطيم الذرة
ويملك أحدهم سيكلوترون) قلقين من الإشعاع الباقى فى هيروشيا . وفى
أواسط أغسطس بعد بضعة أيام من إذاعة الرئيس ترومان لنوع القنبلة التى
ألقيت ، دخل هؤلاء العلماء إلى المدينة للبحث . وكان أول ما عملوه أن
أرادوا تحديد مركز القنبلة ، بأن أخذوا يلاحظون جوانب عمود التليفون حول
قلب المدينة التى تأثرت بالحريق ، وقرروا أن المركز هو البوابة الكبرى لمعبد
جوكوكو ، وهى تلاصق ساحة الاستعراض لمعسكر شوجوكو للجيش
الحلى . ومن هنالك أخذوا يبحثون شمالاً وجنوباً بواسطة إلكتروسكوبات
لورتن الحساسة جداً لأشعة بيتا وأشعة جاما ، ودلت هذه الآلات على أن أشد
النشاط الإشعاعى ، على مقربة من أبراج البوابة ، هو ٤,٢ مرة لمتوسط «الخارج»

الطبيعى للموجات الزائدة فى القصر لأرض تلك المساحة . ولاحظ العلماء أن ضوء القنبلة قد صبغ الأسمنت المسلح بلون أحمر فاتح ، وأنه أطار شظايا من سطح الجرانيت ، وأنه أثر كما يؤثر الحريق فى بعض أنواع أخرى من مواد البناء . ولذلك تركت القنبلة فى بعض الأماكن آثاراً للظلال التى ارتبى عليها ضوءها . فوجد الخبراء مثلاً ظلاً ثابتاً على سقف بناء الغرفة التجارية (٢٢٠ ياردة من المركز المحدد) للبرج المكعب . وهناك ظلال عدة على مركز المراقبة فوق بنك الرهن (٢٠٥٠ ياردة) وهناك ظل آخر فى برج بناء محطة توليد الكهرباء بشوجوكو (٨٠٠ ياردة) وظل آخر لطلبة الغاز (٢٦٣٠ ياردة) وظلال كثيرة على القبور من الجرانيت فى معبد جوكوكو (٣٨٥ ياردة) وبقياس مثلث هذه الظلال وظلال أخرى مع الأشياء التى كونتها ، استطاع العلماء أن يجددوا المركز الصحيح للقنبلة ، وهو مكان على بعد مائة وخمسين ياردة إلى الجنوب من الأبراج ، وعلى بعد ياردات قليلة إلى الجنوب الشرقى من كومة الخرائب التى كانت من قبل مستشفى شيما (وقد وجدت ظلال صور بشرية ، فنشأ عن ذلك قصص من نسيج الخيال وفيها تفاصيل دقيقة . فمن هذه القصص أن أحد النقاشين كان فوق سلم فثبتت له صورة كأنها مدموغة على المدخل الحجرى لبناء مصرف كان يعمل فيه فى اللحظة التى وضع فيها فرشاه فى إناء الطلاء . ومنها أن رجلاً وعربته كانا فوق الجسر المقارب لمتحف العلوم والصناعة وهو يكاد يكون فى مركز الانفجار ، قد ثبت له ظل يدل دلالة واضحة على أنه كان شارعاً فى ضرب جواده بالسوط .) وفى أوائل سبتمبر أجرى العلماء مقاييس جديدة مبتدئين إلى الشرق والغرب من المركز الصحيح ، فوجدوا أن أقوى إشعاع بلغ ٣,٩ مرة « الخارج » الطبيعى وإذ الإشعاع الذى يبلغ على الأقل ١٠٠٠ مرة « للخارج » الطبيعى هو الذى يؤثر تأثيراً سيئاً فى الجسم البشرى ، فقد أعلن العلماء أن الأهالى يستطيعون دخول هيروشيما دون أن يتعرضوا لأى خطر .

و بمجرد أن بلغ هذا النبأ اليقين المنزل الذى كانت تختبئ فيه السيدة نكامورا — أو على الأقل بعد وقت قصير من ابتداء نمو شعرها من جديد — خفت بغضاء الأسرة بأكملها لأمريكا . وأرسلت السيدة نكامورا زوج أختها للبحث عن آلة الحياكة ، وكانت لا تزال مغمورة فى ماء الحوض . وعندما

جاء بها إلى المنزل تأملت ألماً شديداً إذ ألقتها قد علاها الصداً من كل جانب .
ولم تعد تصلح لشيء .

في نهاية الأسبوع الأول من سبتمبر كان الأب كلاينسورج راقداً في دار
الرهبان المتدئين وقد ارتفعت حرارته حتى بلغت ١.٠٢,٢ . بميزان فهرنهايت .
وبما أن حالته كانت تزداد سوءاً على ما يظهر فقد قرر زملاؤه أن يبعثوا به إلى
المستشفى الدولي الكاثوليكي في طوكيو . وراقته الأب شيزلك ومدير الدار إلى
كوبي ، ثم راققه أب يسوعى من تلك المدينة إلى أن قطع سائر الطريق ،
وكان يحمل رسالة من طبيب بمدينة كوبي إلى الأم الرئيسة للمستشفى الدولي ،
وفيها : « فكروا مرتين قبل أن تنقلوا إلى هذا الرجل شيئاً من الدماء ؛ لأنه
ليس من المحقق إذا وخز مرضى القنبلة الذرية بابر ألا تنزف دماؤهم . »

عندما وصل الأب كلاينسورج إلى المستشفى كان ممتنع اللون وضعيفاً
جداً ، وكان يشكو أن القنبلة قد أضرت بهضمه وجعلته يشعر بالآلام
جسدية . وكان عدد الكرات البيضاء في دمه ثلاثة آلاف (وفي العادة يكون
خمسة آلاف إلى سبعة) . وكانت تبدو عليه أعراض فقر الدم الشديد وحرارته
١.٠٤ فهرنهايت وقد رآه طبيب لا يعرف كثيراً عن هذه الظواهر الغريبة — فان
الأب كلاينسورج كان من القلائل من مرضى القنبلة الذرية الذين وصلوا إلى
طوكيو — وكان الطبيب أمام المريض مشجعاً جداً إذ قال : « ستخرج من هنا
بعد أسبوعين . » ولكن عندما خرج الطبيب إلى المشى قال للأم الرئيسة :
« إنه سيموت ؛ فان جمع هؤلاء الذين أصيبوا بمرض القنبلة يموتون — وسترين .
فانهم يظنون بضعة أسابيع أحياء ثم يموتون . » ووصف للأب كلاينسورج غذاء
مقوياً ، فكانوا كل ثلاث ساعات يلزمونه بتناول بعض البيض أو خلاصة اللحم
البقرى ، وأن يتناول من السكر قدر ما يستطيع . وأعطوه فيتامينات وجوباً
حديدية وشيئاً من الزرنيخ (في لمول فولا) لعلاج فقر الدم . ولقد كذبت
تكهنات الطبيب في الناحيتين ، فلا هومات ولا هو خرج بعد أسبوعين . ومع
أن الرسالة التي جاءت من طبيب مدينة كوبي حرمته أن يمد بالدم وهو خير
علاج لحالته ، فان الحمى والمتاعب الهضمية زالت بسرعة مناسبة . ولقد ارتفع
عدد الكرات البيضاء بعض الشيء ، ولكن في أوائل أكتوبر نزل عددها إلى

٣٦٠٠ وبعد عشرة أيام ارتفع أكثر من الحالة الاعتيادية إلى ٨٨٠٠ ثم انتهى بها الأمر إلى أن بقيت ٨٠٠ وكانت خدوشه الغريبة مما أثار عجب كل إنسان ، فهي تلتئم بضعة أيام ، حتى إذا أخذت تحرك ويمشى قليلا عادت فانفتحت وعندما أخذ يشعر بتحسّن صحته بدأ يستمتع بمركزه . فهو في هيروشيا كان واحداً من آلاف من المرضى ، وهو في طوكيو قد صار أعجوبة ؛ فكان الأطباء الشبان في الجيش الأمريكي يأتون بالعشرات ليفحصوه ، ويأتى الخبراء من اليابانيين ليسألوه ، وجاء مندوب جريدة ليأخذ منه حديثاً ، وجاء مرة طبيبته الحائر وهز رأسه وقال : « إن حالات مرضى القنبلة الذرية لحالات بحيرة . »

كانت السيدة نكامورا راقدة داخل البيت مع ميكو ، فكلاهما ظل مريضاً . وسع أن السيدة نكامورا شعرت شعوراً غامضاً بأن مرضهما ناشئ عن القنبلة ، فانها كانت لا تستطيع من الفقر أن تزور الطبيب ؛ ولذلك لم تعرف تماماً ماذا حل بها . ومن غير أى نوع من العلاج بل بمجرد الراحة أخذتا مع الأيام يتحسنان ، وقد سقط بعض شعر ميكو وكان في ذراعها حرق صغير ظل أشهراً دون أن يلتئم . أما الغلام توشيو وأخته الكبرى ييكو فقد كانا في صحة جيدة مع أنهما فقدتا بعض شعرهما ، وكانا أحياناً يشعران بصداع شديد . وكان توشيو لا يزال يحلم أحلاماً مزعجة تدور دائماً حول الميكانيكي البالغ من العمر تسع عشرة سنة هيديو أوساكي بطله الذى قتلته القنبلة .

ظل مستر تانيموتو راقداً بالحمى التى بلغ ارتفاعها ٤٠ . درجة فهرنهايت وكان قلقاً بسبب صلوات الجنازة التى كان عليه أن يقيمها للموتى من أبناء كنيسته . وكان يظن أن ما به هو التعب الشديد من العمل المرهق الذى قام به منذ ضربت المدينة . ولكن بعد أن ظلت الحمى ملازمة له بضعة أيام أرسل يطلب الطبيب . وكان الطبيب مثقلاً بالعمل ، فلم يكن يستطيع أن يزور أوشيدا ، ولكنه أرسل ممرضة عرفت أعراض المرض ووصفته بمرض إشعاع متوسط فى شدته . وكانت تأتى إليه من وقت لآخر لتحقنه بحقن من فيتامين ب . وزار مستر تانيموتو كاهن بوذى كان يعرفه ، واقترح أن يعالج بعشب الموكسا

لعله يفيد ، ووصف الكاهن للقلى كيف يستعمل هذا العلاج اليابانى القديم ، وهو أن يوقد حزمة من عشب الموكسا القوى بعد أن توضع فوق نبض الساعد . ووجد مستر تانيموتو أن كل مرة يجرى فيها علاج الموكسا كانت الحمى تهبط مؤقتاً درجة واحدة . وكانت الممرضة قد أنبأته بأن يأكل أكثر ما يستطيع ، فكانت حماته تأتبه كل بضعة أيام بخضراوات وأسماك من تسوزو حيث تقيم وهى تبعد عشرين ميلا ، وظل ملازماً الفراش شهراً ، ثم قطع عشر ساعات بالقطار ليقم في منزل أبيه بشكوكو ، وهناك استراح شهراً آخر .

رأى الدكتور سازاكى وزملاؤه بمستشفى الصليب الأحمر هذا المرض الذى لم يعرف من قبل يبدو أمامهم ، وأخيراً استنبطوا نظرية عن طبيعته ، وقرروا أن له أدواراً ثلاثة : الدور الأول انتهى قبل أن يعرف الأطباء أن أسامهم مرضاً جديداً ، وهو نتيجة مباشرة لتأثير إصابة الجسم فى لحظة إلقاء القنبلة بذرات النيترون وأجزاء من أشعة بيتا وأشعة جاما . فالناس الذين لم يصابوا فى الظاهر باصابات ولكنهم ماتوا موتاً غريباً فى الساعات أو الأيام القلائل الأولى ، كانوا ضحية هذا الدور الأول ، وقتل به تسعة وخمسون فى المائة من الأهالى ممن كانوا على بعد نصف ميل من المركز ، وبضعة آلاف من الذين كانوا أبعد من ذلك . وتحقق لدى الأطباء استنتاجاً أن أكثر الموتي مع إصابتهم بحروق وتأثير الضغط قد تشربوا من الاشعاع ما قتلهم ، فهذه الأشعة دمرت خلايا الجسم ، وسببت انحطاطاً فى نواة الخلايا وحطمت حوائطها . وكثير ممن لم يموتوا فى الحال أصابهم الغثيان والصداع والاسهال والارهاق والحمى التى استمرت عدة أيام . ولم يتحقق الأطباء من هذه الأعراض أى نتيجة الإشعاع أو الصدمة العصبية .

أما الدور الثانى فانه جاء بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً من انفجار القنبلة . وظهرته الأساسية سقوط الشعر ثم إسهال وحمى قد ترتفع إلى ١٠٦ درجة فهرنهايت ، وظهرت بعد خمسة وعشرين إلى ثلاثين يوماً من الانفجار اضطرابات فى الدم : فقد دميت اللثة ، ونقصت الكرات البيضاء نقصاً كبيراً ، وظهرت بقع على الجلد وفى الأعضاء المخاطية . وكان نقص عدد الكرات البيضاء فى الدم بما يضعف مقاومة المريض للعدوى ، ولذلك

كانت الجراح التي شارفت الشفاء لا تلتئم ، وأصيب كثير من المرضى بأمراض في الحنجرة والفم ، وكانت الظاهرتان الهامتان اللتان يبنى عليهما الأطباء تقديرهم هما الحمى ونقص عدد الكرات البيضاء .

وإذا ظلت الحمى مستمرة ومرتفعة كانت فرصة المريض في الحياة ضعيفة ، وكان عدد الكرات البيضاء ينقص دائماً إلى أقل من أربعة آلاف ، فاذا نزل عددها عن الألف كان الأمل في حياة المريض ضعيفاً . وفي آخر الدور الثاني إذا بقي المريض حياً فإنه يصاب أيضاً بقر الدم أو نقص الكرات الحمراء في الدم .

ثم يأتي الدور الثالث حينما يحاول جسم المريض أن يستيعض عما سببه له المرض . فمثلاً لا يعود عدد الكرات البيضاء إلى طبيعته وحسب بل يزداد كثيراً على المستوى العادى . وفي هذا الدور يموت المرضى بسبب مضاعفات كاصابات في منحنى الصدر . وكانت أكثر الحروق تلتئم بطبقات سمكة من أنسجة حمراء مطاطة تعرف باسم أورام كلويد . وكانت مدة المرض تختلف باختلاف قوة احتمال المريض ومقدار الإشعاع الذى وصل إليه ، فكان بعض الضحايا يشفى في أسبوع وظل بعضهم الآخر يلازمهم المرض أشهراً .

لما أخذت هذه الأعراض تبدو تبين أن الكثير منها يشابه تأثيرات الاكثار من التعرض لأشعة إكس ، وبنى الأطباء طرق علاجهم على هذه المشابهة فكانوا يعطون المرضى خلاصة الكبد وحقن الدم وفيتامينات وبخاصة فيتامين ب . وكانت قلة الأدوية والأدوات مما يصعب مهمتهم . وقد وجد أطباء الحلفاء الذين جاءوا بعد استسلام اليابان أن البلازما والبسولين كانا نافعين جداً . ولما كانت الاضطرابات المرضية في دورة المرض الطويلة هي العامل الأساسى فيه فقد بدا لبعض الأطباء اليابانيين رأى عن موضع هذا المرض الذى تظهر أعراضه متأخرة ، وهو أنه ربما كانت أشعة جاما في اختراقها للجسم أثناء الانفجار قد أحدثت النشاط الإشعاعى في الفوسفور الذى في عظام الضحايا ، وأنه في الوقت نفسه انبعثت منهم أجزاء من أشعة بيتا ، وهذه الأشعة لا تستطيع اختراق اللحم إلا إلى حد بسيط ، ولكنها دخلت إلى نخاع العظام حيث يصنع الدم وقضت عليه شيئاً فشيئاً . ومهما يكن مصدر هذا المرض فإنه كان ذا صفات مخيرة ؛ إذ لم تظهر الأعراض الأساسية على جميع المرضى . فالذين أصيبوا

بحروق من الانفجار كانت لديهم مناعة إلى حد كبير من مرض الإشعاع ، وأولئك الذين التزموا الهدوء لمدة أيام أو حتى ساعات بعد الانفجار ، كانوا أقل تعرضاً لهذا المرض من أولئك الذين كانوا نشيطين . ثم إن الشعر الأبيض كان قلما يسقط ، وكان الطبيعة أرادت حماية الانسان من اختراعاته لذلك نرى أن وسائل الانتاج تأثرت لوقت ما ، فصار الرجال عقما والنساء يصيبهم الاجهاض وانقطع الحيض .

مكث دكتور فوجي عشرة أيام بعد الفيضان في دار فلاح على الجبل فوق نهر أوتا ، ثم سمع بخلو عيادة خاصة في كاييتاشي وهي ضاحية إلى الشرق من هيروشيا ، فاشتراها في الحال وانتقل إليها ، وعلق لافتة مكتوبة بالانجليزية تحية للمنتصرين :

م. فوجي
دكتور في الطب
للامراض الباطنية والتناسلية

وكانت جراحه قد التأمت ، وأخذ العمل يكثُر لديه . وكان يلد له في المساء أن يزوره أعضاء من القوات المحتلة، فيعقد عليهم الوبسكي ويتمرن معهم على اللغة الانجليزية .

أعطى الدكتور سازاكي للآنسة سازاكي البروكايين مخدراً محلياً ، ثم فتح ثغرة في رجلها في يوم ٢٣ أكتوبر ليخرج الصديد الذي كان لا يزال موجوداً بعد أحد عشر أسبوعاً من الإصابة ، وقد أخذ يتكون من الصديد في الأيام التالية قدر كبير ، حتى اضطره ذلك إلى تنظيف الثغرة صباح مساء . وفي الأسبوع التالي شكت من ألم شديد ، ففتح ثغرة أخرى ثم فتح ثغرة ثالثة في ٩ نوفمبر ثم وسعها في اليوم السادس والعشرين من نوفمبر . وكانت الآنسة

سازاكى قد أخذت نفسيها تضعف ويزداد جسمها ضعفا . ، وفى ذات يوم جاء الشاب الذى أعارها ترجمة قصص موبسان فى هاتسوكايشى. لزيارتها ، وأنبأها بأنه ذاهب إلى كيوشو ، على أنه يود أن يراها عند عودته مرة ثانية ، ولكنها لم تهتم بذلك . وقد تورمت رجلها وازداد ألمها حتى لم يستطع الطبيب أن يقوم بأية محاولة لجبر الكسور ، وبالرغم من أن التصوير بأشعة إكس الذى أخذ فى نوفمبر أظهر أن العظام تلتئم ، فانها كانت ترى وهى تحت الغطاء أن رجلها اليسرى صارت أقصر من رجلها اليمنى بثلاث بوصات ، وأنها مثنية إلى الداخل . وفكرت كثيراً فى الرجل الذى كانت مخطوبة له ، وقد أنبأها أحد الأصدقاء أنه عاد من عمله فيما وراء البحار ، فكانت تسائل : ماذا سمع عن إصاباتهما حتى أنه ظل بعيداً عنها !

أخرج الأب كلاينسورج من مستشفى طوكيو فى ١٩ ديسمبر ، وركب القطار عائداً إلى مقره . وفى الطريق بعد يومين عند يوكوجادوا وهى المحطة التى قبل هيروشيا ، ركب دكتور فوجي القطار معه ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اجتمع فيها الرجلان بعد انفجار القنبلة ، فجلسا معاً . وقال الدكتور فوجي إنه ذاهب للاجتماع السنوى لأسرته وهو يوم ذكرى وفاة والده . وعندما بدأ يتكلمان عما حدث لهما كان حديث الطبيب مسلياً جداً ؛ إذ أخذ يصف المنازل التى كان يسكنها كيف كانت تتساقط فى الأنهار . ثم سأل الأب كلاينسورج عن صحته فأخبره الأب اليسوعى بأنه كان فى المستشفى وقال : « نصح لى الأطباء بأن أكون حذراً ، وأمرنى بأن ألجأ إلى النوم ساعتين بعد ظهر كل يوم . »

فقال دكتور فوجي : « من الصعب فى هذه الأيام أن يكون الانسان حذراً فى هيروشيا ، فكل واحد فيها شديد الاقبال على العمل . »

أخذت إدارة بلدية جديدة تحت إشراف الحكومة العسكرية المتحالفة تعمل أخيراً فى دار البلدية ، وأخذ الأهالى الذين شفوا من درجات مختلفة من مرض الإشعاع يعودون بالآلاف ، وبلغ عدد الأهالى فى أول نوفمبر ١٧٣ ألفاً أى أكثر من ثلث ما بلغه عددهم فى أثناء الحرب ، واحتشد أكثرهم فى أطراف

المدينة . وشرعت الحكومة تقوم بضروب من المشروعات لكي تحملهم على العمل في إعادة بناء المدينة ، فأجرت رجالاً لتنظيف الشوارع وآخرين ليجمعوا قطع الحديد المتناثرة وينظموها في أكوام كالجبال أمام دار البلدية . وأخذ بعض العائدين من سكان المدينة يبنون دورهم وأكوامهم ويزرعون مربعات صغيرة بقمح الشتاء إلى جانبها . على أن إدارة المدينة رخصت وبنّت أربعائة «معسكر» كل واحد لسكنى أسرة واحدة . وأعيد إصلاح المنافع العامة ، فعادت الأضواء الكهربائية تسطع مرة ثانية ، وأخذت عربات الترام تسير ، وأصلح رجال أعمال المياه سبعين ألف صنوبر ، وألف مؤتمر لتنظيم المدينة له مستشار شاب متحمس من ضباط الحكومة العسكرية وهو اللقبانت جون مونتجوسرى من كلاميسو . وأخذ هذا المؤتمر يدرس على أى نوع من المدن يجب أن تكون — هيروشيما الجديدة ؛ فقد ازدهرت المدينة المخربة — وكانت هدفًا بارزاً — بسبب أنها كانت من أهم مراكز القيادة العسكرية والمواصلات في اليابان . وكان من المنتظر أن تصبح عاصمة الإمبراطورية لو تم غزو الجزر اليابانية واحتلت طوكيو . والآن لن تكون هنالك مراكز حربية ضخمة تساعد على إحياء المدينة . فكان مؤتمر التنظيم في حيرة بشأن الأهمية التي تكون لهيروشيما . ولذلك التجأ إلى مشروعات ثقافية غامضة بعض الشيء وإصلاحات في الطرق ، فرسم خرائط بها شوارع كبيرة يبلغ عرض الواحد منها مائة ياردة . وفكر جدياً في الاحتفاظ بمتحف العلوم والصناعة الذي أصابه شيء من التخريب كما هو ، تذكاراً للكارثة ، على أن يسمى معهد الصداقة الدولية . وجمع الاختصاصيون ما قدروا عليه من أرقام عن تأثير القنبلة، فقالوا إن ٧٨,١٥٠ شخص قتلوا ، و١٣,٩٨٣ شخص نقدوا ، و٣٧,٤٢٥ شخص أصيبوا . ولم يزعم أحد من رجال الحكومة في المدينة أن هذه الأرقام صحيحة ، مع أن الأمريكيين عدوها رسمية . وبمرور الشهور أخرجت مئات ومئات من الجثث من بين الأنقاض . ولما كان عدد الآنية المليئة برساد الموتى الذين لم يطلبهم أهلهم بمعبد تاموجى بجهة كوى ارتفع إلى الآلاف ، فقد بدأ الاختصاصيون يقولون إن مائة ألف على الأقل ماتوا بسبب القنبلة . وإذا كان عدد كبير من الناس يعزى موتهم لمجموعة أسباب ، فقد كان من المستحيل أن يعرف تماماً كم من قتلوا بكل واحد من هذه الأسباب . ولكن رجال الاحصاء يقدرّون أن خمسة وعشرين في المائة ماتوا

بسبب حروق مباشرة من القنبلة ، وأن خمسين في المائة من إصابات أخرى ، وأن عشرين في المائة نتيجة لتأثير الإشعاع . على أن تقدير رجال الاحصاء فيما أصاب الأموال قد يمكن الاعتماد عليه ؛ فقد دمر اثنان وستون ألف بناء من تسعين ألفاً ، وأصيب ستة آلاف بضرر لا يمكن إصلاحه ، وفي قلب المدينة لم يبق غير خمسة أبنية حديثة يمكن استعمالها ثانية بغير إجراء إصلاحات كبيرة . ولم تكن قلة هذا العدد ناشئة عن عدم متانة الأبنية اليابانية ؛ فالواقع أنه منذ حدوث الزلزال الكبير في سنة ١٩٢٣ قضت نظم البناء اليابانية أن يكون سقف كل بناء كبير بحيث يتحمل ثقلاً قدره على الأقل سبعون رطلاً في كل قدم مربع ، على حين لا تقضى النظم الأمريكية بأكثر من أربعين رطلاً للقدم المربع .

ولقد جاء جيش من العلماء إلى المدينة ، وأخذ بعضهم يقيس القوة التي أدت إلى نقل الشواهد الرخامية من مكانها في المقابر ، وإلى قلب اثنين وعشرين من سبعة وأربعين عربة من عربات السكك الحديدية في مخازن هذه السكك بمحطة هيروشيما ، وإلى رفع طريق من الأسمت وتحريره على أحد الجسور ، وإلى حدوث أشياء أخرى تسترعى النظر من أعمال القوة . واستنتجوا أن الضغط الذي سببه الانفجار اختلف بين ٣,٥ إلى ٨ أطنان للياردة المربعة . ووجد آخرون أن الميكا التي لا تذوب إلا على درجة حرارة ٩٠٠ سنتيجراد قد ذابت على حجارة قبور من الجرانيت واقعة على ثلاثمائة وثمانين ياردة من المركز ، ووجدوا عمدة التليفون ، وهي من أشجار البلوط الياباني وهي تحترق على حرارة ٢٤٠ سنتيجراد ، قد احترقت على بعد أربعة آلاف وأربعمئة ياردة من المركز ، وأن سطح القوالب من الآجر الرمادي وهي المستعملة في هيروشيما والتي لا تذوب إلا على درجة ١٣٠٠ سنتيجراد قد ذابت على بعد ستائة ياردة . وبعد أن فحصوا بعض الرماد ذي الدلالة وبعض بقايا ما ذاب ، استنتجوا أن حرارة القنبلة على الأرض في المركز بلغت ٦٠٠٠ سنتيجراد . ووصل العلماء إلى معلومات أكبر شأنها عن طبيعة القنبلة من مقاييس أخرى للإشعاع كان مما شملته قشر قطع من المواد من أغطية السطوح ، وأنايبب المجارى في أماكن بعيدة ، مثل ضاحية تكاسو ، وهي على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ياردة من المركز . وكان مركز رئاسة الجنرال ماك آرثر يمنع أى ذكر للقنبلة في المطبوعات العلمية اليابانية ،

ولكن ثمار تقديرات العلماء ما لبثت أن صارت معلومات عامة لدى اليابانيين من علماء الطبيعة والأطباء والكيميائيين والصحفيين والأساتذة ، ولا ريب في أنه عرفها أولئك السياسيون والعسكريون الذين كانوا لا يزالون مطلقى السراح . وقبل أن يعرف الجمهور الأمريكى بزمن طويل ، كان السواد الأعظم من رجال العلم ، وكثيرون من غير العلماء يعرفون — من التقديرات التى قام بها علماء الطبيعة الباحثون فى الذرة من اليابانيين — أن قبلة من اليورانيوم انفجرت فى هيروشيا ، وأن قبلة أقوى منها من البلوتينيوم انفجرت فى نجازاكي ، وعرفوا أيضاً أنه يمكن نظرياً صنع قبلة تزيد قوتها على ذلك عشر مرات ، أو عشرين مرة . وزعم العلماء اليابانيون أنهم عرفوا الارتفاع الصحيح الذى انفجرت فيه قبلة هيروشيا ، والثقل التقريبى لما استعمل من يورانيوم . وقدروا أنه حتى مع قبلة بدائية كالقنبلة التى استعملت فى هيروشيا ، يجب أن يكون هنالك مخبأ من الأسمنت المسلح يبلغ سمكه خمسين بوصة ، كي يكون الانسان بمأمن من مرض الإشعاع . وعرف هؤلاء العلماء هذه التفاصيل وغيرها ، بما ظل خاضعاً للكتان فى الولايات المتحدة ، وقد نشروها وصوروها وضمنوها كتباً صغيرة . وعلم الأمريكيون بهذه الكتب ، ولكن تعقبها ومنعها من أن تقع فى أيدي غير صالحة ، يضطر قوات الاحتلال إلى أن تنشئ نظاماً بوليسياً كبيراً فى اليابان لهذا الغرض وحده . وكان العلماء اليابانيون يتندرون على العموم بالمجهودات التى يبذلها المنتصرون لكتان أنباء التحطيم الذرى .

فى أواخر فبراير سنة ١٩٤٦ ، وفد على الأب كلاينسورج أحد أصدقاء الأنسة سازاكي وسأله أن يزورها فى المستشفى ، وكانت تزداد انقباضاً وبأساً ، كأن ليس للحياة لديها قيمة وذهب الأب كلاينسورج لرؤيتها عدة مرات . وفى أول زيارة لها جعل الحديث يدور حول مسائل عامة رسمية ، وإن كان مشوياً بالعطف ، ولم يرد أن يذكر الدين . وفى المرة الثانية كانت الأنسة سازاكي بادئة فى الحديث عن هذا الموضوع ، وكان من البين أنها قد تحدثت من قبل إلى بعض الكاثوليك ، وقد سألته فى صراحة : « إذا كان إلهك رءوفاً وشفيعاً فكيف يدع الناس يتألمون هكذا ؟ » وأبدت إشارة تشمل رجلها المتضمرة والمرضى الآخرين ومدينة هيروشيا بأكملها .

فقال الأب كلايسورج : « يا بنيتي ! إن الانسان ليس الآن في الحالة التي أراد الرب أن يكون عليها ؛ فهو قد أبعد من رحمة الله بسبب الخطيئة » ، وأخذ يبدى أسباباً وتأويلات لجميع الأمور :

علمت السيدة نكامورا أن نجاراً في كابي يبنى أكواخاً من الخشب في هيروشيا ويؤجرها بسعر قدره خمسون ين في الشهر ، وهذا يعادل ٣,٣٣ دولار بالسعر المحدد للعملة وكانت قد فقدت وثائق أسهمها وغيرها مما ادخرته أثناء الحرب ، ولكنها لحسن الحظ كانت قد قيدت أرقامها في قائمة قبل القنبلة ببضعة أيام ، ونقلت هذه القائمة إلى كابي . فلما نما شعرها واستطاعت أن تظهر ذهبت إلى مصرفها في هيروشيا ، فأبأها أحد موظفيه بعد أن راجع الأرقام على سجلات البنك أن المصرف على استعداد لرد أموالها . وبمجرد أن استردت هذه الأموال استأجرت كوخاً من أكواخ النجار وكان في نوبوري تشو على مقربة من مكان بيتها السابق . ومع أنه كان مظلماً من الداخل وأرضه من التراب فهو على أية حال دار في هيروشيا تغنيها عن إحسان أخت زوجها . وفي أثناء الربيع أزالوا بعض الحطام المجاورة وزرعت حديقة خضراوات . وكانت تطهى طعامها وتأكل في آنية وأطباق أخرجتها من الأتقاض . وأرسلت طفلتها مييكو إلى مدرسة الأطفال التي أساد اليسوعيون فتحها ، وكان الطفلان الكبيران يذهبان إلى مدرسة نوبوري تشو الابتدائية . وكانت هذه المدرسة لا تجد بناء ، فأخذت تلقى الدروس في الهواء الطلق . وكان الابن توشيو يريد أن يدرس ليكون ميكانيكياً مثل بطله هيديو أوساكي . وقد ارتفعت الأسعار ، فلم يأت منتصف الصيف حتى كانت السيدة نكامورا قد أتت على ما ادخرته ، فباعته بعض ملابسها لتدبير الطعام ، وكانت لديها في وقت ما عدة ثياب ثمينة من نوع الكيمونو ، ولكن أحدها سرق في أثناء الحرب ، وأعطت ثوباً آخرتاً لها فقدت ملابسها في ضرب مدينة توكوياما ، وفقدت اثنين عند إلقاء القنبلة في هيروشيا ، والآن باعت آخر ثوب بقي لها فلم يأتها من هذا البيع غير مائة ين لم تستمر طويلاً . وفي يونيو ذهبت إلى الأب كلايسورج تسأله أن ينصح لها كيف تدبر أمورها ، وفي أوائل أغسطس كانت لا تزال تفكر في الطريقتين اللتين أشار بهما : أن تعمل خادماً لدى بعض قوات الحلفاء المحتلة ، أو تقتصر

من أقاربها نحو خمسمائة ين ، أو ما يزيد على ثلاثين دولارا بقليل ، وهو مبلغ يكفى لإصلاح آلة الحياكة التى علاها الصدأ واستئناف عملها فى الحياكة .

عندما عاد مستر تانيموتو من شوكوكو نصب خيمة كان يمتلكها على سقف البيت الذى به إصابات سيئة والذى استأجره فى أوشيذا ، وكان السقف لا يزال مشقوباً ، ولكنه كان يقيم صلواته فى الحجرة الكبيرة المتأثرة بالرطوبة . وأخذ يفكر فى جمع تبرعات لإعادة بناء كنيسته فى المدينة ، وارتبط بأواصر الصداقة مع الأب كلاينسورج ، وصار يختلف إلى اليسوعيين ، وكان يحسدهم على ثراء كنيستهم وكأنهم قادرون على أن يفعلوا كل ما يريدونه ، أما هو فلم يكن يملك إلا نشاطه ولم يعد هذا النشاط مثل ما كان عليه . وكانت جمعية اليسوعيين هى أول هيئة بدأت تبنى داراً ثابتة بعض الشئ فى خرائب هيروشيما . وقد بدءوا فى ذلك حين كان الأب كلاينسورج فى المستشفى ، وبمجرد أن عاد سكن فى هذه الدار . واتفق هو وقس آخر — الأب لادرمان الذى انضم إلى البعثة — على أن يشتريا ثلاثة من تلك المعسكرات المرسومة التى كانت المدينة تبيعها ، وثمن الواحد منها سبعة آلاف ين وضما اثنين منهما بعضهما إلى بعض وأنشأا منهما كنيسة صغيرة جميلة ، وكانا يأكلان فى الثالثة . وحينما توافرت مواد البناء كلف اليسوعيون مقاولا بأن يبنى داراً للبعثة من ثلاث طبقات تكون مماثلة تماماً للدار التى دمرتها الغارة ، وأخذ النجارون يشغلون فى أرض البناء قاطعين الأخشاب وناشرين الحواجز ومشكلين الجوانب وصانعين العشرات من الروابط الخشبية ، وقد فتحوا لها ثغرات فى الخشب حتى صارت أجزاء الدار جميعاً كومة نظيفة ، ثم أقاموا البناء كله فى ثلاثة أيام كما تقام لعبة الأطفال المعروفة باللغز الشرقى دون أن تكون هنالك أية مسامير . وكان الأب كلاينسورج يجد من الصعب أن يكون محتاطاً وأن ينام بالنهار ، كما نصحه دكتور فوجي ، وكان يخرج كل يوم سيراً على الأقدام لزيارة الكاثوليك من اليابانيين وزيارة الذين يأمل فى إقناعهم بالعقيدة الكاثوليكية . وبمرور الشهور أخذ يشعر بتزايد التعب . وفى يونية قرأ مقالا فى جريدة شوجوكو التى تصدر فى هيروشيما تحذر الأحياء من العمل المرهق — ولكن ماذا يعمل ! ولم يقبل شهر يولية حتى كان التعب قد نال منه .

وفى أوائل أغسطس فى نحو ذكرى إلقاء القنبلة عاد إلى المستشفى الكاثوليكي الدولى فى طوكيو ليرتاح شهراً .

قد تكون إجابات الأب كلاينسورج على أسئلة الأنسة سازاكى عن الحياة حقائق نهائية ومطلقة وقد لا تكون ، ولكن يظهر أنها استمدت من هذه الإجابات قوة جسمية جديدة . ولاحظ دكتور سازاكى هذا الأمر فهناً الأب كلاينسورج ، ولم يأت يوم ١٥ أبريل حتى كانت حرارتها طبيعية ، وعدد الكرات البيضاء طبيعياً ، وأخذ الصيديد يقل فى الجرح . وفى يوم ٢٠ من ذاك الشهر لم يكده يبقى منه شئ . ولأول مرة سارت فى الماشى متكئة على عكازين ، وابتدأ الجرح يلتئم بعد خمسة أيام . وفى آخر يوم من ذلك الشهر برحت المستشفى .

وفى أوائل الصيف استعدت لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية ، وكانت فى تلك الفترة يتعاورها الأمل واليأس ، وكانت لحظات اليأس عميقة . فهى تعلم أنها ستظل عاجزة أبداً ، ولم يأت خطيبها قط ، ولم يبق لها ماتعمله إلا القراءة وأن تشرف من دارها بجانب تل كوى على خرائب المدينة التى هلك فيها أبوها وأمها وأخوها . وصارت عصبية ، فاذا حدثت ضجة مفاجئة رفعت يديها فى الحال إلى حلقها . وكانت رجلها لا تزال تؤلمها ، فكانت لاتنكفك تدلكها كثيراً وتربت عليها كأنما هى تعريها .

لم يعد مستشفى الصليب الأحمر إلى حالته العادية قبل مرور ستة أشهر ، ولم يعد الدكتور سازاكى إلى حالته إلا بعد مدة أطول من ذلك . وكان المستشفى بظلم فى سيره على مؤلّد كهربائى من مولدات الجيش اليابانى ، وضعه فى الفناء الخلفى ، إلى أن أعيدت محطة توليد القوة الكهربائية بالمدينة . وكانت مناضد العمليات وآلات أشعة إكس وكراسى علاج الأسنان وكل ما هو معقد وضرورى من أدوات ، قد جاءت شيئاً فشيئاً هبة من مدن أخرى . ويعتبر الوجه فى اليابان شيئاً هاماً حتى فى المعاهد . ولذلك بدأ مديرو المستشفى حتى قبل العودة إلى مستواه فى أجهزته الطبية الأساسية نأفاموا واجهة جديدة من الأجر الأصفر اللامع ، فصار أجمل بناء فى هورشيا ، إذا رئى من الشارع .

وكان الدكتور سازاكي في الاشهر الأربعة الأولى ، الجراح الوحيد في المستشفى فلم يغادره قط. ثم أخذ يعود إلى الاهتمام بحياته الخاصة ، فتزوج في شهر مارس وعاد إليه بعض ما نقص من وزنه ، ولكن شهيته للطعام ظلت ضعيفة . وكان قبل إلقاء القنبلة يأكل أربع كرات من الأرز في الأكلة. أما بعد ذلك بسنة فكان لا يستطيع أن يأكل أكثر من كرتين من الأرز . وكان يشعر بالتعب طول الوقت على أنه قال : « ولكنني على يقين بأن السكان جميعاً متعبون . »

بعد سنة من إلقاء القنبلة صارت الأنسة سازاكي من ذوى العاهات ، والسيدة نكامورا معدمة ، والأب كلاينسورج في المستشفى ، ودكتور سازاكي غير قادر على العمل كما كان يفعل من قبل ، ودكتور فوجي قد فقد المستشفى ذا الثلاثين حجرة الذى عمل سنين في إنشائه ، وكنيسة مستر تانيموتو قد تحربت ولم يعد هو إلى ما كان فيه من حيوية . فحياة هؤلاء الستة الذين يعدون من أسعد أهل هيروشيما حظاً ، لن تكون كما كانت ، ولم يكونوا فيما مر من محن ولا في استعمال القنبلة الذرية على رأى واحد . ولكن يظهر أنهم كانوا مشتركين في شعور واحد ، هو نوع عجيب من روح الجماعة فيه شئ من الزهو يقارب شعور أهل لندن بعد الهجوم الجوى الخاطف عليها ، هو افتخارهم بالطريقة التى واجهوا بها هم وزملائهم من الأحياء تلك الحنة الفظيعة .

ولقد كتب مستر تانيموتو قبل ذكرى هذا الحادث بقليل إلى أحد الأمريكيين رسالة فيها عبارات يدل على هذا الشعور : « ياله من منظر كئيب كان في الليلة الأولى ! لقد نزلت في نحو منتصف الليل إلى شاطئ النهر ، وكان عدد الراقدین على الأرض كبيراً حتى إنى لم أستطع أن أشق طريقى إلا بأن أطأ بعضهم ، وكنت أكرر « معذرة » وأنا حامل آية مليئة بالماء ، وأقدم كوباً منه لكل واحد منهم . فكانوا يرفعون أجسامهم في بطة ويتقبلون الكوب في انحناء ويشربون في هدوء ويريقون ماتبقى ويعيدون إلى الكوب وهم يعربون قلبيا عن شكرهم . وقد قال أحدهم : « إنى لم أستطع مساعدة أختى التى كانت دفينة تحت أنقاض الدار لأنه كان على أن أساعد أمى التى جرحت جرحاً عميقاً فوق عينها . ولم تلبث الدار أن اشتعلت بها النيران ولم نكد ننجو . أنظر ! لقد فقدت دارى وأسرتى وأصبت أخيراً إصابات شديدة ، ولكنى لأزال

محتفظاً بعقلي . لى أهب ما لدى لاتمام الحرب فى سبيل بلادنا . هكذا كانوا يقولون لى حتى النساء والأطفال كانوا يفعلون مثل هذا . ولما كنت قد تعبت تعباً شديداً فقد ارتميت بينهم على الأرض ، ولكنى لم أستطع النوم مطلقاً . وفى الصباح التالى ألفت الكثير من الرجال الذين أعطيتهم الماء فى الليلة السابقة قد ماتوا . على أن ما أثار دهشتى الكبيرة أنى لم أسمع أحداً منهم يصرخ فى جزع واضطراب مع أنهم كانوا يتلألأون ألماً مبرحاً ، وماتوا ساكتين غير ساخطين . وقد أطبقوا أسنانهم ليتحملوا هذا الألم ، كل هذا من أجل الوطن !

« لقد دفنت القنبلة الدكتور هيراىوا الأستاذ بجامعة هيروشيا للاكذاب

والعلوم وأحد أعضاء كنيستى ، تحت منزله المؤلف من طابقين ومعه ابنه الطالب فى جامعة طوكيو ، وكان الاثنان لا يستطيعان التحرك قيد أتملة إذ كان عليهما ضغط كبير ، ثم شبت النار فى البيت ، فقال الابن : « ليس أمانا يا أبت إلا أن نوطن أنفسنا على تقديم حياتنا فى سبيل الوطن ، فلنرفع بنزاي (التحية) للإمبراطور . » فتبع الأب ابنه : « تينوهايكما ، بنزاي ، بنزاي ، بنزاي ! » ويقول دكتور هيراىوا من العجيب أنى شعرت أخيراً بالهدوء وبالاتعاش وامتلاء قلبى بروح السلام عندما رددت بنزاي للإمبراطور . وحدث بعد ذلك أن استطاع الابن الخروج وظل يحفر حتى أخرج أباه ، وهكذا أقفذا . ويكرر دكتور هيراىوا حين يفكر فى محنة ذلك الزمن : « ما أسعدنا إذ نحن يابانيون ! فتلك أول مرة تنسمت فيها رَوْحاً جميلاً عند ما اعتزمت أن أموت فى سبيل إمبراطورنا . »

« وكانت الآنسة كايوكو نبوتوكى ، وهى طالبة بهيروشيا جازابوين مدرسة البنات العالية وإحدى بنات كنيستى ، تستريح مع صديقاتها إلى جانب السور الثقيل للمعبد البوذى . وعندما ألفت القنبلة سقط عليهن السور . وكن لا يستطعن أن يتحركن تحت هذا السور الثقيل ، ثم نفذ الدخان من الشقوق واختنقت أنفسهن . فأخذت إحدى البنات تغنى كيمى جايو النشيد الوطنى . وشاركها الأخريات فى الغناء ومتن معاً . إلا أن واحدة منهن وجدت ثغرة وحاولت جهدها أن تخرج . ولما حملت إلى مستشفى الصليب الأحمر ذكرت كيف ماتت صديقاتها ، وكيف كن ينشدن معاً النشيد الوطنى . وكانت أعمارهن لا تتجاوز الثالثة عشرة .

« أجل إن أهل هيروشيا ماتوا ميتة الرجال عند ضربها بالقنبلة الذرية وهم يعتقدون أنهم يموتون من أجل الامبراطور. »

وقد ظل عدد كبير يدعو إلى الدهشة من أهل هيروشيا لا يكثرثون للناحية الأخلاقية في استعمال القنبلة . ومن المحتمل أنهم ذعروا من هذه القنبلة حتى أصبحوا لا يريدون مجرد التفكير في أمرها ، بل لم يهتم إلا القليل منهم بمعرفة شكلها . ويمكن أن تتخذ فكرة السيدة نكامورا عنها — وخوفها منها — مثالا لذلك . فهي تقول حين تسأل عنها : إن القنبلة الذرية في حجم علبة عيدان الكبريت ، وكانت حرارتها تبلغ ستة آلاف مرة حرارة الشمس ، وقد انفجرت في الهواء وفيها شيء من الراديوم ، ولا أعلم تماماً كيف تعمل ، ولكن عندما يختلط الراديوم بنفسه تنفجر القنبلة . وكانت تقول إذا ما سئلت عن استعمالها : إنها الحرب ويجب أن نتوقعها ، ثم تضيف إلى ذلك قولها : « شيكاتا جاناي » وهي عبارة يابانية تجرى بها ألسنتهم في العادة ، وهي تشبه كلمة « نيشفيو » الروسية أى : مالم يمكن تلافيه ، فليكن ، إنه أمر سيء . وقال الدكتور فوجي مثل هذا تقريباً عن استعمال القنبلة للأب كلاينسورج ذات مساء إذ قال له بالألمانية : « ليس لدينا مما نستطيع أن نعمله . »

على أن عدداً كبيراً من أهل هيروشيا ظل يكره الأمريكيين كراهة لا تمنحها الأيام . وقال الدكتور سازاكي مرة : « أراهم يحاكون مجرمي الحرب في طوكيو الآن ، وأظن أنه يجب أن يحاكموا الرجال الذين قرروا استعمال القنبلة ويقتلوه جميعاً . »

وكان الأب كلاينسورج وغيره من القسس اليسوعيين الألمان ، وهم أجنب فينتظر أن يكون حكمهم سليماً بعض الشيء ، كثيراً ما يتناقشون في الناحية الأخلاقية لاستعمال القنبلة . وكتب أحدهم إلى الكرسي البابوي في روما وهو الأب سيمس ، وكان متغيباً في نجاتسوكا عند إلقاء القنبلة : « يرى بعضنا أن القنبلة هي من طبقة الغاز الخائض وهم يعارضون في استعمالها ضد الأهالي من المدنيين ؛ ويرى بعضنا أنه في الحرب الاجاعية كما هي الحال في اليابان لا يجب التمييز بين المدنيين والعسكريين ، وأن القنبلة هي قوة فعالة تؤدي إلى إنهاء إراقة الدماء وتبذر اليابان بالتسليم لتتقى الدمار الكلي . وقد يكون

من المعقول أن الذى يؤيد الحرب الاجاعية فى المبدأ لا ينبغى له أن يشكو حين تصيب المدنيين . والعقدة فى المسألة هى مشروعية الحرب الاجاعية بصورتها الحاضرة ولو كانت فى سبيل الحق . أليست لها مضار مادية وروحية تزيد على ماينتظر منها من خير ؟ ومتى يمدنا الباحثون فى الأخلاق بالجواب الواضح عن هذه المسألة ؟ »

قد يكون من المستحيل معرفة الفظائع التى نقشت فى عقول الأطفال الذين عاشوا فى يوم إلقاء القنبلة على هيروشيا . لقد كانت ذكرياتهم فى مظهرها بعد أشهر من هذه الكارثة عبارة عن مغامرة عجيبة . فمثلا توشيو نكامورا الذى كان فى العاشرة من عمره عند إلقاء القنبلة كان يستطيع أن يتكلم عن هذه المحنة فى حرية بل فى مرح ، وكتب قبل بضعة أسابيع من يوم الذكرى موضوعا إنشائيا صريحا ، لمدرسه فى مدرسة نبورى تشو الابتدائية وفيه يقول : « ذهبت فى اليوم السابق للقنبلة للسباحة فى الماء . وفى صباح ذاك اليوم كنت أكل شيئا من الفول السودانى فرأيت ضوءا وقد ارتطمت بالمكان الذى كانت تنام فيه أختى الصغيرة . ولما أنقذنا لم أكن أرى إلى أبعد من الترام . وأخذت أنا وأمى نجمع حاجتنا . وكان الجيران يسرون حولنا وهم حرقى تنزف منهم الدماء . وطلبت منى هاتايا سان أن أفر معها ، فقلت إنى أريد أن أنتظر أمى . وذهبنا إلى الحديقة . وجاءت عاصفة وفى الليل احترق خزان للبتروى . ورأيت انعكاس ضوءه فى النهر . ولازمنا الحديقة ليلة . وفى اليوم التالى ذهبنا إلى جسر تايكو وقابلنا صديقتى كيكوكى وموراكامى وهما تبحثان عن أخيهما ولكن كانت أم كيكوكى جريحة . أما أم موراكامى فقد ماتت ويا للأسف » .